المثل والمعانى الإسلامية
فى شـــــعر
لبيـــــد بن ربيعة العامرى

د/ سناء محمد الغرباوى

المدرس بقسم الأدب والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بالإسكندرية

﴿مدخـــــــل﴾

استرعى اهتمامى تلك المثل والمعانى الإسلامية فى شعر " لبيـــد ابن ربيعة العامرى " وذلك عندما اطلعت على الأسباب التى جعلت " أبـــا عمرو بن العلاء " يقول عن شعر " لبيد " : { ما أحد أحب إلى شعرا مـــن لبيد بن ربيعة ، لذكره الله عن وجل ولإسلامه ولذكره الدين والخير ولكـــن شعره رحى بزر "[1] جعلنى هذا الأمر أبحث فى شعر " لبيد " مســـتقصية تلك المعانى التى أشار إليها " أبو عمرو بن العلاء " قاصدة من وراء ذلـك التجلية لتلك المعانى والمثل الفاضلة من خلال أشعاره التى تحمـــل بيـــن ثناياها الكثير من هذه القيم المطبوعة بروح الإسلام والتى نحن فى أحـــوج ما نكون إليها فى عصرنا هذا ..

وليكون فى هذا رد على من يزعم أن " لبيدا " لم يقل شعرا فـــى الإسلام إلا بيتـــا واحـــدا [2] . ولقد اخترت لهذا البحث عنوانا (المثـــل والمعانى الإسلامية فى شعر " لبيد ")

وسيكون تناولى لهذا الموضوع مشتملا على النقاط التالية :

---

(١) الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء / أبى عبيد الله محمد المرزبانى / وقف على طبعه محب الدين الخطيب / ط القاهرة ١٣٤٣هـ المطبعة السلفية ص ٧١ .

(٢) الشعر والشعراء / لابن قتيبة / تحقيق أحمد محمد شاكر دار المعارف جـ١ ص ٢٧٥ / الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى فى تحقيق عبد السلام محمد هارون ط الهيئة العامة للكتـــاب جـــ ١٥ ص ٣٦٩.

- أولا : التمهيد ويشمل الحديث عن الشاعر ومنزلته وتأصل المعانى الإسلامية فى نفسه.
- ثانيا : دعوى هجره الشعر والرد عليها.
- ثالثا : استعراض الشواهد والأمثلة.
- رابعا : النتائج التى تستفاد من الدراسة.

أولا : لمحة موجزة عن الشاعر وحياته :

لبيـــــد : شاعر من فحول الشعراء ومجوديهم ، ومؤمن ممن آمنـوا بالله فى عهد الشرك والوثنية ، وهـو مـن سـادات قومـه ومعمريـهم ويدعى / لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عـامر ابن صعصعه بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمـة بـن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار [1]

فهو من العامريين ، وعامر من أهم قبائل هوازن من قيس عيـلان التى كانت تقطن نجدا ، تلك القبيلة الكبيرة التى أفاضت كتـب الأنسـاب فى ذكرها ..

➢ لبيد ومنزلته وتأصل المعانى الإسلامية فى نفسه :

ولد " **لبيد** " فى مرابع صحراء نجد بالجزيرة فـى هـذه البيئـة الرحبة ذات السماء الصافية والطبيعة التى تقوى إحساس الإنسان وتسـمح لمشاعره بالارتقاء ولسليقته بالتفتح فهو يحيا فيها وبها ..

فى هذه البيئة نشأ " لبيد " بين بنـى قومـه فـانطبعت ذاكراتـه بصورها وتقاليدها .. وقد حبا الله " لبيدا " بنفس صادقة تقية مؤمنه وليس أدل على ذلك من قول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم " أصدق كلمـة قالها الشاعر كلمة " لبيد " " ألا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلٌ " [2]

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة / تحقيق أحمد محمد شاكر ط/ دار المعارف ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ جـ ص ٢٧٤ – الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى تحقيق عبد السلام محمد هارون – الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٩٣ جـ ١٥ ص ٣٦١ والسيرة لابن هشام / محيى الدين عبد الحميد / جـ٤ ص ١٤٣.

(٢) ديوان" لبيد " ص ٢٥٦ ، صحيح مسلم ١٧٦٨/٤

فهو مؤمن ممن آمنوا بالله فى عهد الشرك والوثنية ، ومسلم رجل صدق زهد وتنسك فى عهد إسلامه وكذلك هو برعف وقور وحليم وهذه خصال قل أن تجدها مجتمعة فى شاعر من شعراء عصره [١] وتروى كتب الأدب كثيرا من المواقف والأحكام التى تدل على شاعريته، وأول هذه الأقوال قوله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة " لبيد " " ألا كلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ باطِلُ " [٢]

وقد قرنه ابن سلام [٣] إلى " النابغة الجعدى" و" أبو ذؤيب الهذلى" و" الشماخ بن ضرار " حيث اعتبرهم الأربعة فى الطبقة الثالثة من الشعراء.

وهذه شهادة من أم المؤمنين " عائشة" رضى الله عنها معبرة بها عن إعجابها بشعر " لبيد " حيث قالت : رحم الله لبيداً ما أشعره فى قوله :

ذَهبَ الذينَ يُعاش فى أكنافهم ... وبقِيتُ فى خَلْفٍ كجلدِ الأجْرَبِ
لا ينفعون ولا يُرجى خيرُهم ... ويعاب قائلهم وإن لم يَشغب

ثم قالت : كيف لو رأى لبيدا خلفنا هذا [٤]

وليس أدل على شاعريته من أن الفرزدق سجد سجدة المعرفة عندما سمع رجل ينشد قول لبيد:

---

(١) لبيد بن ربيعة العامرى / د. يحيى الجبورى ص ٦ الطبعة الثالثة دار القلم / ط ١٩٨٣

(٢) ديوان لبيد ص ٢٥٦ والسيرة جـ١ ص ٣٩٢ وصحيح مسلم ١٧٦٨/٤

(٣) طبقات فحول الشعراء / محمد بن سلام الجمحى / شرح محمود محمد شاكر جـ١ ص ١٢٣

(٤) جمهرة اشعار العرب / تأليف ابى زيد بن الخطاب القرشى ص ٣٠ دار المسيرة بيروت ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م – سير ١٣٨/٢

وجلا السيول عن الطّلول كأنّهـــا زُبُرٌ تُجِدُّ متونَها أقلامُهـــــــــا[١]

أيضا مما يدل على تلك الشاعرية رسوخها فى أذهان المتـــأخرين مثل أحمد الخفاجى المصرى الذى يقول :

فلولا الشعر بالعلماء يـــــــزرى لكنت اليوم أشعر من لبيـــــــد [٢]

وقد أعتبر لبيد نفسه الثالث بعد " أمرئ القيـــس " و" طرفـــة بـــن العبد" وذلك عندما سئل عن أشعر العرب[٣]

فهذه اللمحة الموجزة تدلنا على أن شاعرنا احتل مكانة عالية فـــى الجاهلية والإسلام فنحن أمام شاعر مشهود له بالمكانة الكبـــيرة ، شـــاعر يصور شعره الفترة الطويلة التى عاشها ، فهو يجمع بين تراث الجاهليـــة وتراث الإسلام ويحمل فى طياته مثل الجاهليـــة ومثـــل الإسلام[٤]

وسوف نقتصر فى هذا البحث على المثل والمعـــانى الإســلامية فى شعره ...

وبداية نقول : أنه فى السنة التاسعة من الهجرة قدم " لبيد " علـــى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع وفد من " بنى كلاب " [٥] فأسلم وحسن إسلامه وهو شيخ كبير ، له خبرة ورجاحة عقل ، وحلم وتوقر هـذا إلـــى جانب صفاته التى طبع عليها من خـــلال نشـــأته بيـــن " بنـــى عـــامر "

(١) الأغانى جـ ١٥ / ص ٣٧١

(٢) سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر / تأليف على صدر الدين المدنى ابن أحمد النظـــام الحسينى الحسنى ط ١ ص ٤٢١ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٤هـ

(٣) الأغانى جـ١٥ ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، العمدة جـ١ ص ٩٥

(٤) لبيد بن ربيعة العامرى / د يحيى الجبورى ص ٧

(٥) الأغانى جـ١٥ ص ٣٦٢

وما حباه الله به من صفات تتفق كثيرا مع روح الإسلام، فنراه يفخر بكرم والده على اليتامى بقوله :

وَجَدْتُ أبى رَبيعًا لِلْيَتَامَى ... وَلِلْأَضْيَافِ إذ حُبَّ الفَئِيدُ (١)

وهذا أمر محمود فى الإسلام ، ثم نراه يمتدح تلك الصفة فى نفسه بقوله :

وَإنِّى لأُعْطِى المَالَ من لا أَوَدُّهُ ... وَأَلْبِسُ أَقْوَامًا على الشَّنَآنِ(٢)

فهو يصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله وهذا أيضا محمود فى الإسلام .، وغير ذلك من الصور الكثيرة ...

ولكن ما أريد إثباته هنا هو أن الشريعة الإسلامية لاقت فى نفس لبيد أرضا خصبة للمثل والمعانى الإسلامية؛ ذلك لأن لبيدا كان على الخلقة السوية السليمة " الفطرة " (٣) " " فطرة الله التى فطر الناس عليها"(٤) بالإضافة إلى ما كان يتسم به من خلق عربى كريم ، فكان لابد أن ينفعل هذا الخلق بالهدى الإسلامى، فالإسلام عمق تلك المثل فى نفسه وهذب نفسه وحسن سجاياه إلى ما كان له فى الجاهلية من خلق يوافق خلق الإسلام (٥).

---

(١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة / تحقيق د. إحسان عباس . ص ٤٠/ طبعة الكويت ١٩٦٢، الفئيد : الخبز المليل وهو الملة وقيل الفئيد : الشواء.

(٢) الديوان ص ٣٢٧ لأوده : لا احبه ، أليس اقواما : أعاشرهم وأصاحبهم ، الشنآن : الحقد والبغض والكره.

(٣) يقول (ص) كل إنسان تلده أمه على الفطرة .. الحديث فى البخارى ١٨١/٣ ، ومسلم ١٥٧/٦ باب " كل مولود يولد على الفطرة"

(٤) سورة الروم : ٣٠.

(٥) لبيد بن ربيعة د/ يحيى الجبورى ص ١٧٦

ومن ثم يقول فيه ابن سلام " كان عذب المنطق ، رقيق حواشى الكلام ، وكان مسلما رجُل صدق " (١)

فقد كان مهيئا للإيمان منذ كان فى جاهليته وعندما أسلم منحه الإسلام إيمانا عميقا.

وقبل أن نستعرض المثل والمعانى الإسلامية فى شعر شاعرنا لابد أن نناقش أولا دعوى هجره الشعر فى الإسلام..

ثانياً : دعوى هجره الشعر والرد عليها

وأرى أن هذه الدعوى تدور حول زعمين :

أولا : الزعم الأول : أن لبيدا لم يقل شعرا فى الإسلام إلا بيتا واحداً واختلف فى البيت فقيل هو قوله :

الحمدُ لِلهِ إذْ لم يأتِنى أجلى حتى لَبِستُ من الإسلام سربالا(٢)

وقيل هو قوله :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح(٣)

ثانيا : الزعم الثانى : يدور حول فكرة أن لبيدا استعاض بالقرآن عن الشعر ، استنادا إلى الرواية التى تقول : أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كتب إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة ،

---

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام – تحقيق محمود.شاكر / جـ١ ص ١٣٥.

(٢) الأغانى جـ ١٥ ص ٣٦٩ ، والشعر والشعراء جـ١ ص ٢٧٥ فى الشعر والشعر " كسانى " بدل " لبست "

(٢) الشعر والشعراء جـ١ ص ٢٧٥

أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك ، ما قالوا فى الإسلام : فأرسل إلى الأغلب .....

ثم أرسل إلى لبيد فقال : أنشدنى ما قلت فى الإسلام فانطلق فكتب سورة البقرة فى صحيفة ثم أتى بها وقال : [1] " أبدلنى الله هذه فى الإسلام مكان الشعر ..... "

*** ويمكن الرد على الزعمين بالأدلة الآتية :

أولا: شعره الذى جاء فى ديوانه والذى يحمل أفكارا ومعانى فى القضاء والقدر والآجال والحساب والبعث والوصية وغيرها من المعانى التى لم تكن لتتفق للشاعر ، لو لم يكن سمع آيات القرآن الكريم الدالة عليها - والتى تتضح جلية داخل هذا البحث .

ثانياً: أنه لا ينبغى أن نصدر حكما على شعر شاعر بالنقل والتقليد - خاصةً مورثنا الشعرى - دون أن نعايش شعره متأنين مفكرين ، فشعرنا العربى الموروث بحر متتابع الأمواج، لذا علينا أن نأخذ بقول القائل :[2] ينبغى ألا نبنى حكمنا عليهم بالتقليد والنقل فنسلم بما جاء فى كتاب الأغانى وأمثاله أو نسلم بما رواه الرواة عنهم دون أن نبحث فى ذلك ودون أن نتبين صحته أو عدمها على الرغم من أن كتب التراث تمثل بالنسبة لها الركيزة والأساس الذى

---

(١) الأغانى ٣٦٩/١٥ ، وطبقات فحول الشعراء/ جـ١ ص ١٣٥ والشعر والشعراء ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ والرواية فى الشعر والشعراء " قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه : انشدنى (من شعرك) فقرأ سورة البقرة ، وقال ما كنت لاقول شعرا بعد أن علمنى الله (سورة) البقرة وآل عمران فزاد عمر فى عطائه مائه درهم .

(٢) نشأة النقد فى مصر لعز الدين الأمين ط ٢ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ - ط ١٩٧٠

لا ينبغى ألا أهمله غير أن معامل الفكر فيه أمر لا ينبغى أن يـهمل كذلك.

ثالثاً : أن " لبيد بن ربيعة " من شعراء فترة الانتقال من الجاهليـــة إلـــى الإسلام. - وشعراء تلك المدة - مدة التحول - كانوا فى شـــاعريتهم تتجاذبهم قوتان ، قوة الموروث القريب العهد بهم وقـــوة الجديـــد ومعتقداته الجليلة التى احدثت ثورة داخل نفوسهم وفكرهم .

- والذى لا شك فيه أنهم استغرقوا وقتا حتى استوعبوا ما سمعوا مـن آيات قرآنية تدعو إلى النظر والتدبر والتأمل فـــى ملكـــوت الله ثـــم التعرف على وجود الله هذا بالإضافة إلى وقوفهم عـــاجزين أمـــام سحر البيان القرآنى ، فلما استقرت نفوسهم وآمنت بدأت تتجـــاوب شاعريتهم مع ما إطمئنت به قلوبهم وآمنت به عقولـــهم ، فصـــاغوا كثيراً من المعانى القرآنية شعرا ، لذلك فمن المســـتحيل أن نحكـــم على شاعرنا " لبيد " أن شاعريته قد انقطعت فجأة بعد الإسلام..

فالتحول فى الشاعرية لا يمكن أن يحدث سريعا أو دفعة واحدة ...

- لكن بعدما استقرت نفسه وتشبعت من فيض الإسلام ظـــهرت روح الإسلام فى شعره بعد أن اختمرت قيمة فى نفسه ..

لذلك نستطيع أن نقول : إن صحـــت " الروايـــة " فلـــهذا الأمـــر وجهتان :

- **الأولى :** أنه سكت عن الشعر احتفالا بالقرآن الكريـــم .. بدليـــل وصيته لابنتيه قبل وفاته ولعل هذا هو الراجح .

- **والوجهة الثانية :** أن الإنقطاع حدث فى تلك الفترة التى حدث فيها التساؤل أى فى عهد " عمر بن الخطاب " لأنه ليس من المعقول أن الخليفة " عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - الذى كان يحتفى بالشعر ، وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة[1] لا يدرى إذا ما كان للبيد شعر قاله فى الإسلام أم لا ؟

وبناء على ذلك يكون مقصود السؤال الذى بعث به الخليفة "عمر" إلى عامله بالكوفة عن آخر ما قال " لبيد " من شعر إسلامى لم يصل إلى علم الخليفة " عمر " لأنه غائب عنه ..

وهذا بالطبع لا يعنى توقف " لبيد " عن قول الشعر بدليل تلك الأبيات التى أوصى فيها ابنتيه باتباع تعاليم الإسلام والتمسك بآدابه حين شعر بدنو أجله :

رابعاً : أنه إن كانت هذه الدعوى ترددت فى بحوث بعض الباحثين المعاصرين [2] مستندين إلى الرواية التاريخية غير مهتمين بالدلالة الشعرية ، فإن البعض الآخر من الباحثين المنقبين قد ردوا هذه الدعوى من أمثال الأستاذ " أحمد الشايب "

---

(١) العمدة فى محاسن الشعر ونقده لابن رشيق – تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد جـ١ ص ٣٣ ط ٥ دار الجيل بيروت سنة ١٩٨١

(٢) يقول الدكتور / محمد عبد العزيز الكفراوى تعليقا على ظاهر الآية (آية الشعراء) أن الشعر بجميع أنواعه وألوانه غير مرغوب فيه إلا إذا جرى فى ركاب الدعوة الجديدة وقد تقيد الصحابة بتلك الآية حرفيا ، فأقسم لبيد إلا يقول شعرا ووقف الباقون مواهبهم على خدمة الدعوة برد هجمات قريش حتى اذا وضعت الحرب الادبية بين قريش والرسول صلى الله عليه وسلم اوزارها لاذوا بالصمت " الشعر العربى بين الجمود والتطور / محمد عبد العزيز الكفراوى ص ٤٠ دار النهضة مصر ١٩٦٩ .

والدكتور"شوقى ضيف" و" كارل بروكلمان " والدكتور "إحسان عباس " والدكتور " يحيى الجبورى " ، وهذه هى أقوالهم على التوالى :

يقول الأستاذ"أحمد الشايب" :

" وأما لبيدا فقد سكت عن الشعر احتفالا بالقرآن ، وقالوا أنه قال فى الإسلام بيتا واحدا " - ولكن هذا القول مردود عليه لأن فى ديوانه قصيدة يوصى بها بناته قبل وفاته ، وقد عاش فى الإسلام اكثر من أربعين سنة " (١)

ويؤكد هذا الدكتور " شوقى ضيف " بقوله " ويمضى الرواة فيزعمون أنه لم يقل فى الإسلام إلا بيتا واحدا ويختلفون فيه ... والحق أنه له أشعارا كثيرة تفيض بمعانى " الإسلام ومثاليته الروحية "(٢)

وهذا هو " كارل بروكلمان " يرد هذا الزعم بقوله : " ولبيد قدير على صياغة موضوعات البداوة صياغة ساحرة، ومما يزيد شعره نفاسه ما يتردد فيه من نغمات دينية وقد قيل أن لبيدا لم يقل شعرا فى الإسلام ، وليس هذا بصحيح فإن كثيرا من شعره مطبوع بطابع الوحى ، ويبعد أن تكون كل هذه الأبيات منحولة ، وإن ظهر فيها شئ من التزيد عليه "(٣)

---

(١) تاريخ الشعر السياسى / لأحمد الشايب ص ٨٨ .

(٢) تاريخ الأدب العربى فى العصر الإسلامى / شوقى ضيف ص ٩٠ - ٩١ ط ٨ دار المعارف

(٣) تاريخ الأدب العربى ، كارل بروكلمان / نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار ص ١٤٥ الطبعة الخامسة

وهذا هو ديوانه بتحقيق الدكتور " إحسان عباس " الذى يعد أكبر دليل على رد هذا الزعم بما لا يدع مجالا للشك [١]

ثم جاء الدكتور " يحيى الجبورى "[٢] الذى أخرج كتابا بعنوان " لبيد بين ربيعة العامرى " والذى يدرس فيه حياة الشاعر وشعره والذى أشار فيه إلى تجلى المعانى الإسلامية فى شعر" لبيد " فى صور ثلاثة هى:

١-فى اقتباسه من آيات القرآن الكريم وصياغة معانيها.

٢-فى كثرة ما يردد من الألفاظ الإسلامية التى أصبح لها معنى دينى وجو روحى لم يكن لها فى الجاهلية كالرحمة التى تعنى الجنة ..

٣-فى اتباع تعاليم الإسلام والتأدب بآدابه ..

إذن ثبت بالدلائل السابقة أن دعوى هجره الشعر مردوده ، وثبت أن ذلك الأمر - هجره الشعر - مما أخطأ فيه بعض المؤرخين - ففى شعره الكثير من المعانى الإسلامية ولكن " معرفة الشعر الإسلامى وتميزه من الشعر الجاهلى أمر غير ميسور فهناك عقبات كثيرة تقوم دون ذلك فليس كل شعر فيه قبس من الدين والتوحيد وحمد لله ، شعرا إسلاميا ... وليس كل شعر خلا من نفحات الإسلام جاهليا" [٣] فهناك قسم من شعر لبيد الإسلامى يكاد يخلو من أثر الإسلام وتعاليمه - مثال ذلك الأرجوزة

---

(١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة تحقيق احسان عباس الكويت سنة ١٩٦٢

(٢) لبيد بن ربيعه العامرى د/ يحيى الجبورى ص ٤١١

(٣) لبيد بن ربيعة د/ يحيى الجبورى ص ٣٨٣ - ٣٨٤

التى قالها بعد موت عمه " أبى براء " يبكى عليه وينـــوح [1] . وهنـاك قصائد جاهلية عاد إليها فى الإسلام وزاد فيها أبياتا إسلامية ... [2].

ولكن مما لا شك فيه أن " المعانى الإسلامية " تجلت فى شعر لبيد بصورة واضحة بحيث نستطيع أن نقول : إن هذه المعانى لم تكن لتتفـق للشاعر ، لو لم يكن قرأ وفهم وتدبر كثيرا مـن آيـات القـرآن الكريـم والأحاديث النبوية الشريفة وتأثر بها فى شعره ، فجاءت تفيـض بمعـانى الإسلام ومثاليته الروحية ، لذلك سوف نتتبع تلك المعانى الإسلامية التـى صاغها شعرا فى ضوء مفاهيم الدين ومعانيه.

ثالثا : استعراض الشواهد والأمثلة :

نجد أول ما يلفت النظر فى تلك الأشعار، تلـك المقولـة الحقـة فى كونه سبحانه وتعالى لا شريك له يقول الشاعر[3]

فوا عجبًا كيف يُعصَى الإلـــــه أم كيف يجحدُهُ الجاحـــــدُ
وفى كلِّ شئ له آيـــــــة تدل على أنهُ واحـــــــد
ولله فى كل تحريكـــــــه وتسكينة أبدًا شاهـــــــد

فهو سبحانه رب كل شئ ومليكه ، كل ما فى الكون من صنعتـه لا يخفى عليه أمر، وسعت قدرته كل شئ فكيف يعصى ؟!.

ثم هو بهذه الأبيات يستدل بالخلق على الخالق وهى أيضا دعـوة إلى عقيدة التوحيد ..

---

(١) لبيد بن ربيعه د/ يحيى الجبورى ص ٣٨٦ - ٣٨٧

(٢) المرجع السابق ص ٣٨٤ أيضاً شرح ديوان لبيد د/ إحسان عباس ص ٣٢ يقول د/ إحسان عبـاس أن لبيدا عاد على بعض قصائده الجاهلية بشئ من الزيادة والتحوير بعد أن أسلم فعمليـة الفصـل صعبة - ربما عدل فى بعض قصائده.

(٣) شرح ديوان لبيد / تحقيق د. إحسان عباس ص ٣٦٣

فهذه الأبيات تدل دلالة واضحة على أن لبيدا قرأ وفهم كثيرا من آيات القرآن الكريم فتأثر بروح القرآن وصاغها شعرا .. ثم هى لفت للأنظار إلى الملكوت والاستدلال بالخلق على الخالق وكم آية من آى القرآن تحمل هذه المعانى الجليلة نذكر من ذلك مثلا **قوله تعالى : { أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب }**

فهذه الآية مثلا تحرك فى العقول العاقلة إدراكا وشعورا بالخالق القادر، وتدفع النفوس إلى الإيمان والتصديق بأن الله موجود وأنه لا شريك له..

وهناك الكثير من الشواهد الحسية والأدلة القاطعة والبراهين الساطعة الدالة على قدرة الله سبحانه وتعالى التى حواها القرآن الكريم والتى تحض على التفكير فى الكون ومظاهر الحياة فى السماء وما فيها من شموس وأقمار ونجوم وكواكب، والأرض وما عليها من جبال وحيوان وطيور وجميع ما تخرجه من نبات وزرع ومعادن وفى الكائنات وبديع صنعها ، لذلك " لبيد " يظهر تعجبه من العاصى لله مع أن كل ما فى الكون يوصل إلى أنه سبحانه الخالق الواحد الأحد الذى خلق كل شئ فأحسن خلقه وأبدع صنعه، فهذه المعانى الجميلة لم تكن لتتفق للبيد لو لم يكن قد تدبر الكثير من آيات القرآن الكريم الدالة على ما عبر عنه شعرا وفى هذا المعنى أيضا نراه يقول : [1]

أَحْمَدُ اللهَ فَلَا نِدَّ لَهُ ... بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلْ

(١) ديوان لبيد ص ١٧٤ ، الند : بكسر اوله المثل

فهذه المقولة هى أول الفروض العقدية وأقدسها، وهو كونه سبحانه " ليس كمثله شئ " فهو يعبر عما يجيش فى صدره من إيمان بقوله " أحمد الله فلا ند له " ويستحضره الشاعر هذا المعنى من مثل قوله تعالى { ليس كمثله شئ وهو السميع البصير } (١)

وقوله " بيديه الخير ما شاء فعل " استمدها من قوله سبحانه { بيدك الخير إنك على كل شئ قدير } (٢)

فالله سبحانه لا شريك له لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء، وسعت قدرته ورحمته كل شئ فسبحانه من بيده الخير ما شاء فعل كما قال الشاعر.

ومن دلائل تأثره بالمعانى الإسلامية الدالة على قدرة الله قوله:(٣)

سَوَّى فَأَغْلَقَ دُونَ غُرَّةِ عَرْشِهِ ... سَبْعاً طِبَاقًا فَوْقَ فَرْعِ المَنْقَلِ
والأَرْضُ تَحْتَهُمُ مِهَادًا رَاسِيًا ... ثَبَتَتْ خَوَالِقُهَا بِصُمِ الجَنْدَلِ
وَالمَاءُ والنِّيرانُ مِنْ آيَاتِهِ ... فِيهِنَّ مَوْعِظَةٌ لِمَنْ لَمْ يَجْهَلِ

فهذه الأبيات تدل دلالة واضحة على تأثر لبيد بروح القرآن ثم هى أيضا لفت للأنظار إلى الملكوت والاستدلال بالخلق على الخالق فهو قد فهم وقرأ وتدبر آيات القرآن الكريم التى حملت هذه المعانى والتى صاغها شعرا.

---

(١) سورة الشورى آية ١١

(٢) سورة آل عمران آية ٢٦

(٣) ديوان لبيد ص ٢٧١ اغلق : قفل ، غرة : بياض ، سبعا طباقا : السبع سموات احداها فوق الأخرى ، فرع أعلى ، المنقل : الطريق فى الجبل مهادا : فراشا ، خوالقها : جبالها ، صم : صلب ، الجندل : الصخور آياته علاماته وأدلته.

ونستطيع أن نورد فى معنى كل بيت من هذه الأبيات آية من آيات القرآن الكريم التى تحمل هذه المعانى التى أوردها شعراً.

فالبيت الأول مستمد من **قوله تعالى : { الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور}**[1] **وقوله تعالى { الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش}**[2]

والبيت الثانى والذى يعنى أنه سبحانه سوى الأرض مهادا راسيا وثبت جوانبها بالجبال " يستحضره الشاعر من مثل **قوله تعالى { والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى }**[3] **وقوله تعالى { ألم نجعل الأرض مهادا والجبال اوتادا }** [4]

فهو يشير إلى تلك الشواهد الحسية والأدلة القاطعة والبراهين الساطعة الدالة على قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه خلق السموات السبع من فوقنا ثابتة بقدرته فلا تحتاج إلى عمد ترتكز عليها، وخلق الجبال الذاهبة فى أغوار الأرض والشامخات فوقها على صورة هى غاية فى الإحكام والاتقان - كمثل الأوتاد تثبت الأرض وتحميها من الإضطراب فلا يختل توازنها.

---

(١) سورة الملك آية ٣

(٢) سورة الرعد آية ٢

(٣) سورة ق آية ٦

(٤) سورة النبأ آية ٦-٧

- إن مثل هذا الحديث عن العوالم الأخرى مثل خلق السموات والأرض ما كان للبيد علم بها إلا بعد أن قرأ آيات القرآن الكريم ثم أنه فى البيت الثالث نراه يقول :

والمَاءُ والنِّيرانُ من آياتِهِ فِيهِنَّ موعظَةٌ لمن لمْ يَجْهَلِ

فالماء والنيران أضداد من العلامات الدالة على قدرته ووجوده سبحانه ثم أنهما فيهما موعظة لمن يجهل .

- وهنا نتساءل هل يقصد أن الماء هو السر فى كل ما هو حى تصديقا لقوله عز وجل : { **وجعلنا من الماء كل شئ حى** } [1] .

- والنار آية وموعظة بحميتها المودية للفناء **تصديقا لقوله عز وجل** { **كلا إنها لظى** } فهى بلظاها آية دالة على قدرته أو أن الشاعر إيمانا وتصديقا منه بقدره الله العظيمة فى تحول الماء إلى نيران هذا المعنى الوارد **فى قوله تعالى** { **وإذا البحار سجرت** } [2] عبر عن هذا شعراً.

فيكون لبيد تأمل وتدبر الآية الكريمة ايمانا وتصديقا بقدرته سبحانه بأنه يوم القيامة سوف يحدث انقلابا كونى هائل، فإذا البحار تأججت نار، وصارت نيرانا تضطرم وتلتهب بعدما كانت ماء باردا [3]

---

(١) سورة فصلت آية ١١

(٢) سورة التكوير آية ٦

(٣) وقد يسر الله لأهل البحث العلمى الحديث فهم هذه الآية الكريم قائلين بأنه إذا ما تم الفصل بين جزئ الماء المكون من الهيدروجين والأكسجين يحدث الاشتعال فيتحول الماء بقدرته تعالى " نارا متأججة"

ثم نجد أول ما يلفت نظرنا أيضا فى حديثه عن الموت والحساب والبعث قوله:[1]

إنّما يحفظُ التُّقى الأَبـــــرار ... وإلى الله يَسْتقرُّ القـــــرَار
وإلى الله ترجعون وعنـــد ... الله وردُ الأمورِ والإصْـدَار
كُلَّ شئٍ أحْصَى كِتابًا وعلْمًـا ... ولديهِ تَجَلَّت الأســـــرارُ

ففى البيت الأول نراه يذكر أن التقوى تكون من الأبرار من الناس فهو يتحدث عن (التقوى والأبرار) وهذه الفاظ إسلامية قرآنية، ثم أنه يقر أنه سيلقى ربه يوم تتكشف الأعمال ، إيمانا منه بما قرأ من آيات القرآن الكريم التى تدور حولها هذه المعانى ..

- وما كانت تلك المعانى لتتفق " للبيد "، لو لم يقرأ آيات القرآن الكريم الدالة على المعانى التى أوردها شعراً ففى البيتين الأول والثانى نراه متأثرا بمثل قول الله تعالى { وإليه يرجع الأمر كله }[2] وقوله تعالى { كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون }[3]. وقوله تعالى { ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون }[4]

أما البيت الثالث والذى يقول فيه :

كُلَّ شئٍ أحْصَى كِتابًا وعلْمًا ... ولديهِ تَجَلَّت الأســـــرارُ

---

(١) شرح ديوان لبيد ص ٤١ –الى الله يستقر القرار اليه ترجع الخلق.
(٢) سورة هود آية ١٢٣
(٣) سورة القصص آية ٨٨.
(٤) سورة الأنبياء آية ٣٥

فالشطر الأول يعيد فى أذهاننا قول الله عز وجل { وكل شىء أحصيناه كتابا} [١]

وما كان للبيد أن يتفق له مثل هذا المعنى إلا بإطلاعه ومعرفة للآية الكريمة.

وفى هذا اليوم - يوم الحساب تجلت الاسرار فتتكشف الأعمال - وهذه المعانى مستوحاه ومستمدة من مثل قوله تعالى { ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا} [٢] وقوله تعالى :{ علمت نفس ما قدمت وأخرت } [٣] وقوله تعالى : { يوم ينظر المرء ما قدمت يداه } [٤] وقوله تعالى : { ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر } [٥] وقوله تعالى : { وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا } [٦]

ويقول أيضا عن إيمانه بفكرة البعث والحساب وبحقيقة الإيمان بالله وبطلان ما عداه وأن مرجع الناس إلى الله يحاسبهم على سعيهم يقول لبيد أيضا:[٧]

أَرَى النَّاسَ لا يَدرُونَ ما قَدْرُ أَمْرِهِمْ ... بَلَى : كلُّ ذِى لُبٍّ إلى الله وَاسِلُ
أَلا كلُّ شَىْءٍ ما خَلَا اللهَ بَاطِلُ ... وَكلُّ نَعِيمٍ لا مَحَالَةَ زَائِلُ
وَكلُّ امْرِئٍ يَوْمًا سَيُعْلَمُ سَعْيُهُ ... إذَا كُشِّفَتْ عِنْدَ الإِلهِ المَحَاصِلُ

(١) سورة النبأ آية ٢٩
(٢) سورة الاسراء آية ١٣
(٣) سورة الانفطار آية ٥
(٤) سورة النبأ آية ٤٠
(٥) سورة القيامة آية ١٣
(٦) سورة الجن آية ٢٨
(٧) شرح ديوان لبيد - د / إحسان عباس ص ٢٥٦ - ٢٥٧ - لب : عقل ، إلى الله واسل : الى الله راغب ، سعيه : عمله ، المحاصل : الأمور حصلت أى حدثت.

فهذه نظرات من الشاعر فى حياة الناس وأقدراهم، فهو يرى أن الناس لا يعرفون حقيقة هذه الدنيا ، ولكن أصحاب العقول السليمة يتطلعون دائما إلى رضاء الله وهذه حقيقة تكررت كثيرا .

أما البيت الثانى والذى يقر فيه الشاعر بأن الله - وحده - هو الحق وكل شئ غيره باطل والدنيا تفنى وتنتهى وتزول ، ولا يبقى إلا الله سبحانه وتعالى ، كأنه يستحضر قول الله عز وجل **{ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام }**[1] وقوله تعالى : **{ كل شئ هالك إلا وجهه }** [2]

أما البيت الثالث والذى يكاد الشاعر ينظم فيه المعنى الوارد فى مثل قوله سبحانه وتعالى **{ أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور إن ربهم بهم يؤمئذ لخبير }** [3]

وهذا الشعر الذى يكاد ينظم معانى واردة فى القرآن الكريم لا يمكن إلا أن يكون قد قيل فى الإسلام.

وهذا المعنى أيضا وارد فى قوله تعالى **{ ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون }** [4]

وكون الإنسان محاسب على فعله أيضا وارد فى مثل قوله تعالى **{ أيحسب الانسان أن يترك سدى }** [5]

---

(١) سورة الرحمن آية ٢٦ ، ٢٧

(٢) سورة القصص ٨٨

(٣) سورة العاديات آيات ٩. ١٠. ١١

(٤) سورة الزمر آية ٧٠

(٥) سورة القيامة آية ٣٦

وقوله تعالى : { يومئذ تعرضون لا تخفـــى منكـــم خافيـــه } [١] وأيضا وردت هذه المعانى فى حديث رسول الله (ﷺ) لا تزول قدما ابـــن آدم حتى يسأل عن أربع " عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبـــلاه ، وعن عمله فيما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه " [٢]

ثم لننظر إلى تلك الأبيات التى يقول فيها : [٣]

وَمَا النَّاسُ إلا كالدِّيار وَأَهْلِهَـا ... بِهَا يَوْمَ حَلُّوهَا وغدوا بَلاقِـــعُ

وَمَا المَرْءُ إلاَّ كالشِّهَابِ وَضَوْئه ... يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هو سَاطِـعُ

فهو ينظر إلى حياة الإنسان فيراها كالديار تعمر ثم تخلـــو منـــهم حين يرحلون، والإنسان يعلو ويسطع كالشهاب المضئ فنراه شخصا لامعا فى مجتمعه وله مكانه عظيمة ثم ينتهى ماله بالموت فيحور رمادا . وكـــأن الشاعر فى هذه الأبيات يستحضر **قول الله تعالى { ومـــا الحيـــاة الدنيـــا إلا متاع الغرور }** [٤] **ومن قوله تعالى أيضا { واضرب لهم مثل الحيـــاة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فـــأصبح هشـــيماً تذروه الرياح }**[٥] ففى هذه الآية يصور الله سبحانه وتعالى للناس قصـــر الحياة الفانية التى تلههم عن الحياة الباقية ، فمهما طالت حيـــاة الإنســـان ومهما حاول فسرعان ما تنتهى.

---

(١) سورة الحاقة آية ١٨

(٢) رواه الترمذى فى سننه ٤ / ٦١٢ حديث رقم ٢٤١٧

(٣) شرح ديوان لبيد د/ احسان عباس ص ١٦٨ – عدوا : بمعنى غدا ، بلاقع : جمع بلقـــع وهـــو القفر، الشهاب : النار ، يحور : يصير ، ساطع : مشتعل

(٤) سورة الحديد الآية ٢٠

(٥) سورة الكهف آية ٤٥

ثم هو يؤمن بأن كل الناس إلى الموت صائرون مهما كثرت أعدادهم ومهما حسنت أحوالهم فى الدنيا ، فإنهم سيهبطون وتتقلب بهم الأحوال وتتغير بالموت، يظهر ذلك فى قوله[1]:

كُلُّ بَنِى حُرَّةٍ مَصِيرُهُمُ ... قُلَّ وَإِنْ أَكثَرَتْ مِنَ العَدَدِ
إِنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وَإِنْ أُمِرُّوا ... يَوْمًا يَصِيرُوا لِلْهُلْكِ والنَّكَدِ

فهو يؤكد على أن حياة الإنسان تصير من القوة إلى الضعف ، ومن الحياة إلى الموت فى دنيا متاعها قليل وكل من فيها إلى زوال وحول هذه المعانى أيضا نراه يقول متدبرا وواعظا :[2]

وَإِنَّا وإِخْوَانًا لَنَا قَدْ تَتَابَعُوا ... لَكَا لْمُغْتَدى وَالرَّائِحَ المُتَهَجِّرِ
هَلِ النَّفْسُ إِلَّا مُتْعَةٌ مُسْتَعَارَةٌ ... تُعَارُ فَتَأْتِى رَبَّهَا فَرْطَ أَشْهُرِ

فالإنسان مهما بلغ شأنه إلى أعلى المراتب فى الحياة، فإنه حال موته تراه ضعيفا أمام الموت، فالدنيا مولية تتأهب للإنصراف ولا بقاء فيها لحي ، والجميع متتابعين إلى النهاية وترد نفوسهم إلى ربهم.

ولننظر إلى قوله " **قد تتابعوا كالمغتدى والرائح** " نرى فيها تنبيها للغافل لأن يفيق من غفلته ويأخذ أهبته ليوم عظيم هو يوم العرض على الله، وكأنه يود أن يقول خذوا حذركم فتلك دنيا فانية خادعة لا تعطى المحب لها الحريص عليها شيئا ينفعه، فعلى الإنسان أن يتقى اليوم الذى يرجع فيه إلى الله، وكأن الشاعر استمد هذه المعانى من

---

(١) شرح ديوان لبيد د/ إحسان عباس ص ١٦٠ – قل : قليل ، يغبطوا : من الغبطة وهى كناية عن حسن حالهم . يهبطوا : تغير أحوالهم بأن يذلون أو يموتون ، وامروا : بكسر الميم كثروا .

(٢) شرح ديوان لبيد د/ إحسان عباس ص ٥٧ – المغتدى : الذاهب فى أول النهار ، الرائح : الذاهب المتجهر من الهاجرة منتصف النهار حيث يشتد الحر، فرط أشهر : بعد أشهر.

قوله تعالى { واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله} [1] ويؤكد ذلك قوله بعد ذلك " فتأتى ربها " فهو يذكرنا بيوم العرض قال الله تبارك وتعالى { وعرضوا على ربك صفا } [2]

وهذا المعنى الإيمانى الذى رسخ فى نفس " لبيد " بأن " النفس متعة مستعارة تعار فتأتى ربها فرط أشهر " جعله يحث النفوس على أن تأخذ العظة والعبرة من الأمم السابقة وما آلوا إليه فيقول[3]

وَلَقَدْ بَلَتْ إِرَمٌ وَعَادٌ كَيْدَهُ ... وَلَقَدْ بَلَتْهُ بَعْدَ ذَاكَ ثَمُودُ

خَلَّوْ ثِيَابَهُمُ على عَوْراتِهِمْ ... فَهُمُ بأَفْنِيَةِ البيُوتِ هُمُودُ

فقد أفنى السابقين ولم تنفعهم بروجهم ، ثم هو يكرر هذه المعانى الوعظية التى يحث فيها إلى النظر إلى أخبار السابقين لإلتماس العبرة والعظة، فنراه يقول [4]:

---

(١) سورة البقرة ٢٨١.

(٢) سورة الكهف ٤٨.

(٣) ديوان لبيد د/ احسان عباس ص ٣٤ – ارم : من عاد ، بلت : خبرت ، ثمود : قوم صالح ، خلو ثيابهم : شدوها بالاخلة حين ايقنوا بالموت والهلاك ، افنية البيوت : ساحاتها، همود : موتى

(٤) ديوان لبيد ص ٢٥٥

اقسم : قدر ، قولا له : انه كان يدبر امره وينظر فيه ألم يعظك من مضى قبلك ، هابل : ثاكل : يدعو عليه بالموت اذا لم يجد فى حوادث الايام ما يمنعه من الاستمرار الفساد .

فَقُولَا لَهُ إِنْ كان يَقْسِمُ أَمْـرَهُ ... أَلَمَّا يَعِظْكَ الدَّهْرُ أَنَّكَ هَابِـلُ (١)
فَتَعْلَمَ أَنْ لا أَنْتَ مُدْرِكُ مَا مَضَـى ... وَلَا أَنْتَ مِمَّا تَحْذَرُ النَّفْسُ وَائِـلُ
فإن أَنْتَ لَمْ تَصْدُقْكَ نَفْسُكَ فَانتَسِبْ ... لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ القُرُونُ الأَوَائِـلُ
فإنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ بَاقِيًـا ... وَدُونَ مَعَدٍّ فَلْتَزَعْكَ العَـوَاذِلُ

فالموت وراءه إرادة وقوة قادرة لا يفلت منها أحد ، فعلى الإنسان أن يعتبر من السابقين وليعلم أن له أجل معلوم يعيش فيه حتى يحين الحين وتعار نفسه إلى ربها.

ففى كل هذه الأبيات يدعو فيها لبيد للإتعاظ بمن سبقوا.

وهذا الأمر .. أعنى القصد إلى التدبر، وضرب الأمثال للعبرة والعظة، ذلك مما حواه القرآن من مثل قول تعالى **{ أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون }**(٢)

وقوله تعالى { أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وأثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق }(٣)

---

(١) وائل : من والت النفس بمعنى نجت ، وائل ناج ، لا داعى للتفكير فيما وقع منك او فيما قلتك فى أيامك لأنك لن تستطيع أن تحصل على ما فاتك ولا داعى للخوف لأنك لن تنجو مما قدر لك .. واذا لم تسطع ان تأخذ من نفسك العبرة أو إذا عجزت نفسك عن هدايتك فاذكر اجدادك الذين ماتوا لعلك تجد فى تاريخهم عبرة لك.

فلتزعك : فلتكفيك ، ولتمنعك : ، اللوائم : يقول إذا لم تجد أحد من الناس الذين عاصروا معدا وعدنان على قيد الحياة ، أى إنك وجدتهم هلكوا أو بادوا ومع ذلك لم تبتعد عن الفساد والضلال فأنت اذن تستحق اللوم والتأنيب .

(٢) سورة الروم آية ٩

(٣) سورة غافر آية ٢١

وقوله تعالى { قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين}[١]

ولبيد يرى بروحه الإسلامية أنه طالما أن الكل تحت وطأة الموت واقع، ولسطوته خاضع ولجبروته مستكين ، فلا داعى لأن يخادع الإنسان نفسه ويغتر بالدنيا ويطمئن لها مهما منحته وليأخذ العظة من المجرب يقول لبيد [٢]

أَرى النَّفْسَ لَجَّتْ فى رجاءٍ مُكَذَّبٍ وقد جَرَّبتْ لو تَقْتَدِى بالمُجَرَّبِ

ويرى أيضا أنه على الإنسان أن يتسلح بعزيمة قوية حتى لا يضعف أمام شهوات نفسه؛ لأن النفس كما قال عز وجل { إن النفس لأمارة بالسوء }[٣] يقول لبيد مستمدا معناه من القرآن الكريم : [٤]

وَاكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثْتَهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِى بالأَمَلِ

فعلى الإنسان ألا يطاوع نفسه فى شهواتها ، غير أنه يوافقها ويصدقها فى التقى لأن التقوى خير عدة للمرء فى حياته وبعد مماته كما قال عز وجل فى كتابه الكريم { قل يا عبادى الذين آمنوا إتقوا ربكم}[٥].

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٧ - ١٣٨

(٢) شرح ديوان لبيد / د. احسان عباس ص ٣ ، لجت : تمادت

(٣) سورة يوسف آية

(٤) الديوان ص ١٨٠ يزرى : يدخل العيب

(٥) سورة الزمر آية ١٠

يقول لبيد مستمدا هذا المعنى من الكتاب الكريم:[1]

غَيْرَ أنْ لا تَكْذِبْنَهَا فى التُّقَى وَاخْزُهَا بالبرِّ لِلهِ الأَجَـــلْ

فالتقوى أساس الإيمان ، وعلى الإنسان أن يعالج نفسه بالتقوى والبر ولا يستجيب لشهواتها لأن النفس أمارة بالسوء تنقاد إلى الشر ما لم يكن هناك رادع يردعها، أو زاجر يزجرها أو وازع دينى يهذبها ويردها فتتجمل بالفضائل " بالبر والتقوى " وكما قال " لبيد " واخزها بالبر " حتى تدخر الصالح من العمل ليوم العرض على ربها " فلله الأجل " كما قال "لبيد" ... وهذه المعانى ما كانت لتتفق للبيد إلا تأثراً بمبادئ الإسلام ويقول لبيد:[2]

فإن الله نَافِلة تُقَـــاهُ ولا يقْتَالُهَـــا إلا سعيـــدُ

فالسعيد هو الطالب للتقوى البعيد عن الظلم وتلك الفضيلة - التقوى هى عطية الله للسعيد ، ويؤثر هذا المعنى " التقوى " فى نفس لبيد تأثيرا عظيما فنراه يقول:[3]

بل كلُّ سعيك باطل إلا التُقى فإذا انقضى شئ كأنْ لم يُفْعَلِ

فنلاحظ أن " لبيدا " يكرر ويوصى بالتقوى وينصح بها ثم يعلل ذلك بقوله : [4]

---

(١) شرح ديوان لبيد / د/ إحسان عباس ص ١٨٠ – اخز نفسك بعمل الحسنان التى تقربك من الله

(٢) الديوان ص ٣٨ – نافلة : هبة وعطية ، لا يقتالها : لا يقولها ، يقتال : يقول ويطلب ، اراد التفخيم لما للتقوى من اثر عظيم فى نفسه

(٣) الديوان ص ٢٧٢

(٤) الديوان ص ٢٤٦ – ٢٤٧ ، ناقلا : اتقله المرض ، الضريح : القبر ، الجنادل : الحجارة ، العائدات : النساء المجتمعات فى المأتم ، الأنامل : أطراف الأصابع .

رأيتُ التُّقَى والحَمْدَ خَيْرَ تجـــارةٍ رَباحًا إذا المرءُ أصْبَحَ ثَاقِـلاً
وهل هُوَ إلا ما ابْتَنَى فى حَيَاتِـهِ إذا قَذَفُوا فوق الضَّرِيح الجَنَادلا
وأَثْنوا عليه بالذى كان عنْـــدَهُ وَعَضَّ عليه العائداتُ الأنامـــلا

فهو ينصح بها وذلك لما تحققه التقوى - لمن يعمل بها - من عون صادق فى التزود للدار الآخرة وأيضا هى فوز له فى الدنيا وذلك بما يناله من حسن الثناء وخلود الذكر الطيب بين الناس .

فالملاحظ من خلال الأبيات أن " لبيدا " اهتـــدى بـــهدى الإســـلام فرأى وصدق أن التقى والحمد خير عدة للمرء فى عاجلـــه - (دنيـــاه) - وآجله (آخرته).

فالبيت الأول يعيد فى أذهاننا **قول الله تعالى :{ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى }**[1] وعن أبى هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليـــه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال : " تقوى الله وحسن الخلق " [2]

والبيت الثانى يعيد فى أذهاننا **قول الله عـــز وجـــل { وأن ليـــس للإنسان الا ما سعى}**[3]

والبيت الثالث يعيد فى أذهاننا الحديث المروى عن أنس رضـــــى الله عنه قال : " مروا بجنازة ، فأثنوا عليها خيرا ، فقال النبى صلـــــى الله

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٧

(٢) رواة الترمذى من مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف اختيار وتعليق عبد البديع صقـــر ص ٦٩ المكتب الإسلامى بيروت ط ١ سنة ١٣٩١ هـــ

(٣) سورة

عليه وسلم : وجبت ، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وجبت ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما وجبت ؟ قال : هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض " [1] متفق عليه .

وكان قول لبيد : " وأثنوا عليه بالذى كان عنده " تأثرا بما سمع وصدق من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم .

وفى موضع آخر نراه يذكر مسعى الإنسان فى قوله : [2]

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب يريد فيقضى أم ضلال وباطل

فهو يتعجب من أمر المرء الذى يسعى لدار الغرور مع أنه متيقن أن هناك دار للخلود، وهو فى هذا المعنى متأثرا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه " يا عجب كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور "

وبعد أن تعجب متسائلا عن أن هذا المرء الحريص على دار الغرور أهو نذر نذره على نفسه فرأى أنه لا بد من فعله أم هو ضلال وباطل من أمره ، نراه مرشدا إلى الطريق السليم فى موضع آخر يدعو الإنسان أن يحاسب نفسه وذلك فى قوله :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح [3]

---

(١) من كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين / شرح وتحقيق سعيد محمد اللحام ص ٣٥١ – ٣٥٢ ط١ مكتبة الهلال سنة ١٩٨٦

(٢) الديوان ص ٢٥٤

(٣) الديون ص ٣٤٩

كأنه يدعو الإنسان أن يحاسب نفسه وألا يجالس إلا الصالح من الناس، حتى لا يقع فى المحذور الذى وقع فيه المغتر الذى تعجب من أمره . وهو فى هذه الدعوة متأثرا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم **" مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يجزيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن نجد منه ريحا خبيثة "** (١)

وكان للإسلام أثره على نفس " لبيد " التى آمنت بالقضاء والقدر فنراه يترجم ذلك شعراً فى مثل قوله : (٢)

لِلهِ نَافِلَةُ الأَجَلِّ الأفضَلِ وَلَهُ العُلَى وأثِيثُ كل مؤَثَّلِ
لا يَسْتَطِيعُ النَّاسَ مَحْوُ كِتَابِهِ أَنَّى وَلَيْسَ قَضَاؤُهُ بِمُبَدَّلِ

فالله سبحانه صاحب العطاء العميم والخير والمعروف الكثير وهو صاحب الرفعة العالية وليس لغيره هذه الأمور ، فهو سبحانه وحده المالك المتصرف فى أمور خلقه، و لا يستطيع أحد أى كان أن يغير من أمره سبحانه لاراد لقضائه.

وهذه المعانى وارده فى مثل **قوله تعالى : { وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم }** (٣) **وقوله تعالى { وكان أمر الله قدرا مقدورا }** (٤) **وقوله تعالى { ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد }** (٥)

---

(١) هداية البارى / عبد الرحيم الطهطاوى جـ٢ ط ٢ ص ١٢٧ سنة ١٣٤٠هـ.

(٢) الديوان ص ٢٧١ ، النافلة : المعروف ، الأجل : الاعظم ، أثيث : كثير وعظيم ، مؤثل : معظم، المؤثل : الداعم ، اثلثت : الشئ ادمته .

(٣) سورة الأنعام آية ١١٥

(٤) سورة الأحزاب آية ٣٨

(٥) سورة ق آية ٢٩

وحول هذه المعانى أيضا يدور قول " لبيد " [1]

قُضِيَ الأُمُورُ وأُنجِزَ المَوْعُودُ واللهُ رَبِّيَ مَا جِدُّ مَحْمُـــودُ
وَلَهُ الفَوَاضِلُ والنَّوافِلُ والعُـلا وله أَثِيثُ الْخَيرِ والمعْـــدُودُ

فهو يثنى على صاحب الثناء عز وجل مؤمنا بقضائـــه وقدرتـــه، وأنه مالك كل شئ ومليكه، هو أهل الثناء والحمد والتمجيد بيده الخير وهو على كل شئ قدير .

ودائما كان لبيد يتحلى بفضيلة الصبر إيمانا منه بالقضاء والقـــدر فقد بلغ من صبره وتحليه بتلك الفضيلة أنه لم يعد يجزع فنراه يقول :

فلا أنا يأتينى طريف بفرحـــة ولا أنا مما أحدث الدهر جازع [2]

فقد وطن نفسه وعودها على الجلد والصبر وتحمل الشدائد ، لذلـك فهو لا يفرح لعرض زائل لأنه يعلم أن مصير ذلك إلى الزوال ويعلم علـم اليقين أن ذلك أمر موقوت ، وفى ذلك ما يدل على أنه مـــاضى العزيمـــة بالصبر مؤمن بتقلبات الدهر وطبيعة الحياة وهو فى هذا متـــأثرا بـــالمعنى الوارد فى **قوله تعالى : { لكيلا تأسوا على ما فـــاتكم ولا تفرحـــوا بمـــا أتاكم}**

ويبدو أن " لبيداً " قد اتخذ **الصبر** سبيلا إلى احتمال المكاره فـــنراه يقول :

ولا أَقولُ إذا ما أَزْمَةٌ أَزَمَـــتْ يا وَيْحَ نَفْسِيَ مما أَحْدَثَ القـــدر[3]

فهو دائما يلجأ إلى الصبر الجميل الذى لا منـــاص منـــه لتهدئـــه النفوس والإيمان بالقضاء والقدر ..

---

(١) الديوان ٣٤ – يقول : قضى الله أمره وانجز وعده، أى فرغ من كل هذا .

(٢) الفواضل : له كل فاضل ، النوافل : العطايا ، والعلا : الرفعة ، وله أثيث : له كل خير كثـــير ، والمعدود : ما يعد

(٣) الديوان ص ٦٤

ويدخل تحت هذا المعنى أيضا قول " لبيد " [1]

إنّ تَقْوى رَبِّنا خَيْرُ نَفْـــــــل ... وبإذْنِ اللهِ رَيْثى وَعَجَـــــلْ
أَحْمَدُ اللهَ فلا نِدَّ لَـــــــــهُ ... بِيَدَيْه الخير ما شاء فَعَـل
مَنْ هداه سُبُل الخير اهتدى ... ناعمَ البال ومَنْ شاء أضــل

فبعد أن بين " لبيد " أن " تقوى الله " هى خير عطية - ذكر مؤمنـاً بقضاء الله وقدره " وبإذن الله ريثى وعجل " ثم بين أنه ســبحانه وتعــالى " لا ند له " " ليس كمثله شئ " ، فهو رب كل شئ ومليكه ، كل ما فـــى الكون من صنعته لا يخفى عليه أمر ، وأنه سبحانه وسعت قدرته ورحمته كل شئ فسبحانه من بيده الخير وهو على كل شئ قدير ..

وفى قوله .. بيده الخير ما شاء فعل، مــن هــداه ســبل الخــير اهتدى، ناعم البال ومن شاء أضل.

وهذا الأمر يدخل تحت القضاء القدر على اعتبار كونــه ســبحانه وتعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء بعلمه وإرادته.

وهذه المعانى لم تكن لتتفق للشاعر لو لم يكن قد قرأ وعلم الآيــات القرآنية الدالة على هذه المعانى من مثل **قول الله تعالى : { فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء }**[2] **وقوله تعالى { من يهد الله فهو المــهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا}** [3] **وقوله تعالى { بيدك الخير إنــك على كل شئ قدير }** [4]

---

(١) شرح ديوان لبيد ص ١٧٤
(٢) سورة فاطر آية ٨
(٣) سورة الكهف آية ١٧
(٤) سورة آل عمران آية ٢٦

وعن كونه سبحانه وتعالى هو وحده "**عالم الغيب** "

نقرأ فى هذا المعنى قول " لبيد " :

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانـــع
سلوهن إن كذبتمونى متى الفتـــى يذوق المنايا أو متى الغيث واقـــع

فهو ينكر علم الغيب على من يدعونه ، ذلك لأنه يؤمن بأن هـــذا الأمر - علم الغيب - مقصور عليه سبحانه ، فهو وحده العالم بالغيبيات ... وهذه الأبيات تعيد فى أذهاننا **قول الله سبحانه { وما تدرى نفـــس مـــاذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت }**[1]

ومن اقتباسات " لبيد " من معانى القرآن الكريـــم نجـــده يقـــول فى حديثه عن نعيم أهل الجنة : [2]

يَوْمَ لا يُدْخِلُ المُدَارِسَ فى الرَّحْـ مَـــةِ إلاَّ بَراءةٌ وَاعْتِـــــذَارُ
وَحِسَانٌ أَعَدَّهُنَّ لأَشْهـــــــا دٍ وغَفْرٌ الَّذِى هو الغفّـــــارُ
وَمَقَامٌ أكْرِمْ به منْ مَقـــــــامٍ وَهَوادٌ وسُنَّةٌ وَمَشَـــــــارُ

فهو يتحدث فى هذه الأبيات عن الجنـــة التـــى تعنـــى الرحمـــة، والحسنات من الأعمال وعن الشـــهود الذيـــن يكتبـــون أعمـــال النـــاس ويحصونها، وعن الهواد أى الأمور التى تهدى للصلاح بالسنة المطـــهرة، والمشار الذى يعنى العمل الصالح.

وما كان " للبيد " هذه المعانى إلا بعد أن قرأ وعلم آيات القـــرآن الكريم واختمرت فى نفسه فأخرجها شعرا.

---

(١) شرح ديوان لبيد ص ١٧٢

(٢) الديوان ص ٤٢. ٤٣ ، المدارس : المقارف للذنوب

فمثلا : كلمة " الرحمة " تعنى الجنة نجد ذلك فى قول الله تعالى { وأما الذين ابيضت وجهوهم ففى رحمة الله }[1] وقوله تعالى : فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه} [2]

وكونه سبحانه غفور غفار وارد كثيرا فى القرآن الكريم ..

ولعله يقصد بالمقام فى البيت الثالث " ومقام أكرم به من مقام " المعنى الوارد فى قوله تعالى { إن المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر }[3]

ومن الآداب الإسلامية فى شعر " لبيد " أنه حين شعر بدنو أجله توجه لا بنتيه يحثهما على التمسك بآداب الإسلام واتباع تعاليمه وذلك من خلال الوصية التى تضمنتها أبيات شعره التى يقول فيها [4]

تَمَنى ابنتاىَ أَنْ يعيشَ أَبُوهُمَا ... وهل أَنَا إلاَّ من ربيعَةَ أو مُضَرّ
فَقُوما فَقُولا بالذى قَدْ عَلِمْتُمَا ... ولا تَخْمِشَا وَجْهًا ولا تَحْلِقَا شَعَرَ
وَقُولا هو المرءُ الذى لا خَليلَهُ ... أضاع ولا خانَ الصديقَ ولا غَدَر

(١) آل عمران آية ١٠٧
(٢) سورة النساء آية ١٧٥
(٣) سورة القمر ٥٤ – ٥٥
(٤) شرح ديوان لبيد د. احسان عباس ص ٢١٣ ، ٢١٤
تمنى : فعل مضارع واصله تتمنى ، إن جميع ابائى من ربيعة أو مضر قد ماتوا ولم يسلم احد من الموت : فكذلك انا بشر أموت كما يموت الناس . لا تخمشا : لا تخدشا ولا تلطما ولاتضربا، الخليل : الصديق المخلص .

ففى هذه الأبيات يوصيهما بأن تبتعدا عما كان فى الجاهلية من عادات كانت تقدم عليها النساء كلطم الوجه وحلق الشعر، وفى ذلك اتباع لتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه الشريفة من مثل قوله: صلى الله عليه وسلم " وليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوة الجاهلية " (١)

ثم هو يحثهما على ذكر محاسنه فى قوله :

وَقُولا هو المرء الذى لا خَليلَهُ أضاع ولا خانَ الصديق ولا غَدَر

فهو يدعوهما ويحثهما على تأبينه بذكر محاسنه وفضائله بأنه كان حريص على أصدقائه، لا يخون صاحبا ولا يغدر به .

ولاشك أن فضيلة الوفاء وعدم الغدر وحفظ العهد أيضا من الشيم النبيلة الفاضلة التى دعا إليها الإسلام.

فهو يدعوها إلى تأبينه بالفضائل التى دعا الإسلام إلى التحلى بها **وصدق الله العظيم إذ يقول فى محكم آياته : { والموفون بعهدهم إذا عاهدوا }** (٢)

وهذا أيضا التزام يتبع ما نهى عنه فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : **" آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان ".**

---

(١) صحيح البخارى ٢٣٦/١

(٢) سورة البقرة آية ١٧٧

وعن توفر المعانى الإسلامية فى نفس " لبيد " ومدى تأثيرها فيه ، نجد أول ما يلفت نظرنا أخلاقه ، فقد كان عالى الهمه ، حسن الأخلاق حسن المعاشرة ، كريم الطبع غير بخيل ، كما تميز " لبيد " بنزعته القومية نراه كثير الفخر بقومه وأول ما يدلنا على حسن أخلاقه ، تلك المنافرة التى دعاه إليها ابن عمه " عامر بن الطفيل [1] وطلب منه أن يهجو قوم علقمه بعد أن أساء شاعرهم لقوم " لبيد " ، لكن " لبيد " رفض ذلك قائلا : [2]

لمّا دَعَانى عامرٌ لأسُبَّهُـــم ... أَبَيْتُ وإنّ كانَ ابنُ عَيْسَاءَ ظالمـــا
لكَيْمَا يكونَ السَّندَرِيُّ نَديدَتـــى ... وأجْعَلَ أَقوامًا عُمُوما عَمَاعِمَـــا
وأَنْبُشُ من تحت القُبُور أُبُـــوَّةً ... كِرامًا هُمُ شَدُّوا علىَّ التَّمائِمـــا
لَعِبْتُ على أَكتافِهم وحُجُورهـــم ... وليدًا وَسَمَّوْنى مُفيدًا وعاصِمـــا

فبعد أن بين " لبيد " عدوان السندرى ، يرفض أن يسبه لأنه يرى أن فى سبه إساءة لأعمامه الذين توفاهم الموت والذين قاموا برعايته وتكلفوا أمره منذ أن كان صغيراً ، ثم هو يرفض ذلك أيضا، لأن نبش من فى القبور إساءة يرفضها الإسلام ..

عن عائشة قالت : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تسبوا الأموات فإنهم قد افضوا إلى ما قدموا " [3]

---

(١) عامر بن الطفيل دعاه لينافر علقمه بن علاثة " وابن عيساء " وهو السندرى ، وعيساء : أمه وقيل بل هى جدته ، وقد فسر " لبيد " فى الأبيات لم أبى ان يشاتم علقمة ومن معه .

(٢) الديوان ص ٢٨٦، ٢٨٧ ، أنبش : اكشف والنبش اظهار المستور ، نديدتى: شبيهى ، العمـاعم : الجماعات ، التميمة : التعويذة ، المفيد : الذى يعم خيره على غيره ، والعاصم : المانع الحامى

(٣) رواه البخارى من مختار الحديث اختيار وتعليق عبد البديع صقر ص ١٥٩.

وفى البيت الرابع نراه يعترف بفضلهم عليه ورعايتهم له منذ أن كان صغيراً واستبشارهم فى تسميتهم له " مفيدا " ليكون مفيدا فى كبره و" عاصما " ليمنع عنهم الضيم ، فهو يفخر بهم وفى ذات الوقت يتعجب ممن يطلب منه سبهم ..

ولاشك أن هذا التصرف الجميل يكشف عن خلق كريم يدعو إليه الإسلام ...

ففى هذه الأبيات دعوة لتسامح المرء فى جانب الأقرباء حرصا على التراحم والود وإن أركبوه الصعب وحملوه ما يكره ، فعليه أن يتحملهم مهما رأى من إساءة ، وهذه نصيحة مجرب محنك بالكف عن إتيان الهجاء مراعاة لصلات القربى والرحم ، وتلك النصيحة على هذا النحو تحمل معانى الخير المتمثلة فى صلة الأرحام ، ومراعاة حق الأقرباء وهذه المعانى مستمدة أساسا من القرآن الكريم والهدى النبوى الشريف من **مثل قول الله عز وجل { وآت ذا القربى حقه }**

وهو يعفو ويصفح إعمالا **بقوله تعالى { ولا يأتل ألوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله، وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم }**

وحول هذه المعانى أيضا يقول لبيد:[1]

---

(١) شرح ديوان لبيد / د. احسان عباس ص ٢٨٥-٢٨٦ - الاواصر : جمع أصرة وهى القرابة وصلة الرحم

تزعم : تغضب ، المنسم : الطريق ، لن يعدم من يسعى فيه ويسلكه والمراد ان المعروف يسير فى كل مكان كما تسير الابل وتترك اثار حسنة ، ليأثما : ليفعل الآثم أى الذنب

فأبلغْ بنى بَكْرٍ إذا ما لَقيتَهـــــا على خير ما يُلْقى به مَنْ تَزَعَّما
أبُونَا أبُوكمْ والأواصرُ بَيْننـــــا قريبٌ ولم نَأمُرْ مَنيعًا ليَأْثَمَـــــا
فإن تَقْبَلُوا المَعْروفَ نصبر لحَقِّكُم ولن يَعْدَمَ المعروفُ خُفا ومَنْسَما

فهذه الآبيات قالها حين اختلف قومه مع بنى بكر، وفيها يدعوهـــم إلى مجانبة الشر، وهذه نصيحة تحمل معنى الخير، حيث إن لبيداً يحـــاول فى هذه الأبيات أن يدفع الشر بالخير، حيث يذكرهم بروابط القربى بينـــهم قائلا لهم، إن كان هناك شخص أخطأ فليس من الحكمة أن تفـــك وتـــهدر الأواصر " فأبونا أبوكم " ثم يذكرهم بأن المعروف لا يضيـــع بيـــن أهلـــه وهم أهل للمعروف . **نلاحظ فى قوله { أبونا أبوكم والأواصـــر بيننـــا }** إيماء بمدى استشارة نوازع الخير بينهما وكأنه يقول : كلانا أهـــل خـــير ومعروف وصاحب أخلاق كريمة ، فلا يصح أن يصدر عنا نزاع .

والملاحظ فى هذه الأبيات أيضا أن الشاعر صاحب حزم وتعقـــل فى نصيحته حيث قدمها فى ثوب ملئ باللين وبث بذور الخير واســـتئصال جذور الشر .. وهذا يساعد على وصول النصيحة لعقل الســـامع فتكـــون استجابته أسرع ، وفى هذا الأمر تأثر بروح القرآن الكريم من مثل **قـــول الله تعالى { ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينـــه عـــداوه كأنـــه ولى حميم }**[1]

(١) سورة فصلت آية ٣٤

هذا عن تعامله مع ذوى قرابته، أما عن الآخرين ، نلاحظ أول ما يلفت نظرنا هو نظرته للناس فى قوله [1]

وما النَّاسُ إلا عَامِلَانِ : فَعَامِلٌ ... يُتَبِّرُ ما يَبْنِى ، وآخرُ رافعُ
فمنهم سعيدٌ آخذٌ لنصيبهِ ... وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ بالمعيشةِ قانعُ

فهو يرى أن الناس فى حياتهم ينقسمون إلى فئتين ، فئة تدمر ما تعمله وأخرى تستفيد من عملها سعيدة به ، وهنا يبدو المعنى الإسلامى واضحا، فالناس متفاضلون فمنهم الشقى الذى يضيع زمنه ، وينفق عمره لاهيا عن عباده ربه ، وعن تحسين حاله، فيخسر الدنيا والآخرة .

ومنهم السعيد الذى عرف هذه الحياة الدنيا وفهم أسرارها فأخذ نفسه بالعبادة والاعتدال فى كل شئ فعاش سعيدا فإذا ما انتهت حياته الأولى استقبل الدار الآخرة بنفس راضية مرضية فهو سعيد لأنه سيجزى ثمار عمله فى آخرته بما ادخر لآخرته من دنياه، وهذه المعانى تعيد فى أذهاننا قول الله عز وجل **{ فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك . إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ }**

فالناس عاملان ومرجع ذلك هو طبيعة العمل التى يعملها كل عامل منهم ، وبناء على ذلك كان الحكم عليهم بأن منهم السعيد ومنهم الشقى ..

---

(١) الديوان ص ١٧٠ – قانع : راضى

ومن خلال معرفته السابقة لطبيعة الناس نراه يحدد لنفسه أسلوب التعامل مع الناس فنراه يقول [1]

أُجَازِى وَأُعْطِى ذَا الدَّلَالِ بِحُكْمِهِ ... إِذَا كَانَ أَهْلاً لِلْكَرَامَةِ وَاصِلا

وَإِنْ آتِهِ أَصْرِفْ إِذَا خِفْتُ نَبْوَةً ... وَأَحْبِسْ قَلُوصَ الشُّحِّ إِنْ كَانَ بَاخِلاً

فهو حريص على أهل الكرامة بكرمه وعطائه لهم ، ولكنه مكرم لنفسه وصائنها من أصحاب النفوس الغير كريمة ، فهو لن يعرض نفسه لأهل الجفوة والبخل حتى يحتفظ لنفسه بكرامتها ، فهو لا يرضى لها الهوان .

وهذا إن دل على شئ ، فإنما يدل على أن نفس " لبيد " نفس سمحة لكنها عزيزة لا تقبل الهوان، وهذا أمر محمود فى الإسلام ، لأنه إذا ما استلين المرء فى كل حال صار ضعيفا متهضما لا كرامة له ، أما إذا استخشن وجعل لنفسه هيبة فإنه فعلا يهاب ويتحامى ويصير عزيز الجانب. وفى ذلك دعوة من الشاعر لأن يوازن المرء بين أحواله ليكون وسطا فى كل أموره ، **وصدق الله العظيم إذ يقول { وكذلك جعلناكم امة وسطا }**[2]

وهذا المعنى أيضا وارد فى قوله [3]

فإذا جُوزِيتَ قَرْضًا فاجْزِهِ ... إِنَّمَا يَجْزِى الفَتَى الجمل

---

(١) شرح ديوان لبيد / د. احسان عباس ص ٢٤٨

اصرف : اى اصيل عنه واعدل

(٢) سورة البقرة آية ٤٣

(٣) الديوان ص ١٧٩

والذى يجزى بما يعامل به من حسن او قبح هو الانسان لا البهيمة والعرب تقول للجاهل يا جمل أى إنما يجزى اللبيب من الناس لا الجاهل وقيل أن قول الجمل جاء للقافية فقط الديوان صـ١٧٩.

" ولبيد " لينٌ مع من يلين معه - عطوف رحيم مع ذى العطف والرحمة كريم متواضع مع الكريم المتواضع ولكنه عزيز مع أصحاب النفوس الضعيفة وما ذلك إلا حفاظا منه على كرامته التى دعانا الإسلام إلى التجمل بها يقول لبيد : [1]

وَأحبُّ المُجَامل بالجزيلِ وصَرْمُهُ باقٍ إذا ضَلَعَتْ وزاغَ قِوَامُها

فهو حريص على مبادلة المودة لمن يجامله ولكنه يرفض الإعوجاج والنفور ، وكما أنه يرفض الإساءة لنفسه نراه أيضا يرفض الإساءة إلى جاره فيقول :

وإنَّ هوانَ الجارِ للجارِ مُؤْلِمٌ وفاقِرَةٌ تأْوِى إليها الفَواقِرُ [2]

فلبيد لا يرضى بذل جاره ، وعدَّ الإساءة إلى الجار داهية عظيمة ومؤلمه وإن عدم حمايته يجلب الذم والعار ، فمن مكارم الأخلاق مراعاة حقوق الجار، وعدم الإساءة إليه وتكريمه ، وهذا المعنى من المعانى العظيمة التى دعا إليها الإسلام كثيرا نذكر من ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم " مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"[3] وقوله صلى الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره " وقوله صلى الله عليه وسلم " لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه [4]"

---

(١) الديوان ص ٣٠٣

(٢) الديوان ص ٢٢٠ : الفاقر : الداهية ، الفواقر : الدواهى الكبرى .

(٣) أخرجه البخارى ٤٤١/١٠ك الأدب / الوصاه بالجار عن عائشة واخرجه مسلم ٢٠٢٥/٤

(٤) صحيح مسلم ٨٦/١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى طبعة الحلبى القاهرة ١٩٥٥ - البوائق : جمع بائقه ، وهى الداهية والفتك ، وهى ايضا تطلق على كل ما يمكن ان يؤذى به الجار جاره

ويدعو " لبيد " الى حسن الجوار فى قوله [1]

نُؤَدِّى العَظِيمَ للجِوَارِ وَنَبْتَنِى ... فَعَالاً وقد نُنْكِى العَدُوَّ المُسَاجِلا
لَنَا سُنَّةٌ عادِيَّةٌ نَقْتَدى بها ... وَسَنَّتْ لأُخْرَانا وفاءً ونَائِلا
يُذَبْذِبُ أقوامًا يُرِيدون هَدْمَها ... نِيَافٌ يَبُذُّ الوَاسِعَ المُتَطَاوِلا

ففى هذه الأبيات يدعو إلى حسن الجوار مفتخرا ومعتزا بما يقدم للجوار من عظيم الفعال موضحا أن هذه الأفعال العظيمة متوارثة وسنه سنت من السابقين إلى اللاحقين فهم يسيرون عليها هم ومن بعدهم ويحارب من يحاول أن يحدث لهم فى هذه السنة اضطرابا ، ذلك لأن الناس كل متجاورون فإذا ما خاف كل جار على جاره تحققت الفائدة المرجوة من وراء الأحاديث الشريفة والتى يدافع عنها الشاعر فى شعره.

إذن "لبيد" نشأ بين قوم كرماء ، فأصبح كريم الطبع غير بخيل فهو القائل عن نفسه[2]

وَإِنِّى لأُعْطِى المَالَ مَنْ لا أَوَدُّهُ ... وَأَلْبَسُ أَقْوَامًا عَلَى الشَّنَآنِ

وهذا الأمر ليس بمستغرب لأنه يحرص على أن يكون محمودا بين الأقوام مثل آبائه فى المحافظة على العرض ، وصونه بالمال يقول لبيد [3]:

---

(١) الديوان ص ٢٥٢- ٢٥٣ : سنة : العرف ، سنت : جعلتها عادة ، عادية : قديمة ، نياف : عال مرتفع من شاء من الأقوام ان يهدم هذه السنة وجد ما يحجزه عن ذلك .. ، يذيب : أى يحدث لهم اضطرابا فيقصر باعهم عن ذلك ، يذبذب : يؤذى

(٢) الديوان ص ٣٢٧ ، ألبس اقواما : احتملهم وأعاشرهم ، الشنان : البغضة والحقد ، لا أوده : لا أحبه

(٣) الديوان ص ٤٧/٤٦ ، العرض : طيب الثناء فى الناس ، المال التلاد : القديم " ما ورثه عن ابائه ، مشترى : يشترى الحمد ، حسن صيته : حسن سماع فى الناس ، مبدى ومحضر : حضر

أَقِى العِرضَ بالمال التِّلادِ وأَشْتَرِى ... به الحَمْدَ إنَّ الطالبَ الحمدَ مُشْتَرِى
وكم مُشْتَرٍ من مالِهِ حُسْنَ صِيتِهِ ... لأَيَّامِهِ فى كلِّ مَبْدَىً وَمَحْضَرِ
أُبَاهِى به الأَكفاءَ فى كلِّ موطنٍ ... وَأَقْضِى فُرُوضَ الصالحينَ وأَقْتَرِى

فالعرض أغلى بكثير من المال ، فهو يحفظ نفسه ويصون عرضه ببذل المال حرصا على حسن الأحدوثة عنه بين الأقوام البدو منهم والحضر.

ولاعيب فى ذلك فنفس المرء جبلت على الثناء والحمد ، فهو يحب أن يرى نفسه محمودا بين الورى ، طيب الذكر فهذا هو ميراثه من الحياة ، فالذكر للإنسان عمر ثانى كما يقول أمير الشعراء ..

وفى ذات الوقت هو يفعل ذلك الأمر لأنه طبع فيه وأيضا لأن ذلك من فروض الصالحين التى يجب قضاؤها اقتداء بهم، ثم نراه يفتخر بكرمه وعطاياه للفقراء سواء سألته أم لم يسألنه فيقول :(١)

إنْ تَرَىْ رأْسِي أَمْسَى وَاضِحًا ... سَلُطَ الشَّيْبُ عليهِ فاشْتَعَلْ
فَلَقَدْ أُعْوِصُ بالخَصْمِ وَقَدْ ... أَمْلأُ الجَفْنَةَ مِنْ شَحْمِ القُلَلْ

فهو دائم العطاء للمحتاجين ، وأيضا هو حازم مع خصومه، وهو وإن كان رأسه اشتعل شيبا ، فإن وراء هذا الشيب كرم عظيم وبأس شديد.. ومما يدل على هذه المعانى أيضا قوله : (٢)

-وبدو ، اباهى : افاخر ، موطن : مشهد ومقام ، اقضى فروض الصالحين : اتتبع أفعال الصالحين فأتيه واعمل به ، افترى : اقرى الضيف

(١) الديوان ص ١٧٧ ، واضحا : الوضح : الشيب ، أعوص : أركب به الأمر العويص أى الشديد، الجفنة : القصعة ، الخصم : العدو ، القلل ، اعلا السنام

(٢) الديوان ص ١٧٧/١٧٨- الخول : ما اعطاك الله من النعم ، وخول جمع خولى : وهو الراعى الحسن القيام على المال ، الألوك : الرسالة ، نهته : منعته ، اشتوى : شوى اللحم ، اجتمل : أذاب الشحم ، اجتمل : اتخذ الجميل وهو الشحم المذاب .

وَلَقَدْ تَحْمَدُ لَمَّا فَارَقَـــــتْ جَارَتِى والحَمْدُ مِنْ خَيْرِ خَوَلْ
وغلامٌ أرْسَلَتْهُ أُمُّـــــهُ بِأَلُوكٍ فَبَذَلْنَا ما ســـــأَلْ
أَوْ نَهَتْه فَأَتَاهُ رِزْقُـــــهُ فاشْتَوَى لَيْلَةَ رِيحٍ واجْتَمَـــلْ
مِنْ شِوَاءٍ لَيْس من عَارِضَةٍ بيدَىَّ كلٌّ هَضُومٍ ذى نَـــزَلْ

فهو يذكر أنه محمود بين جيرانه بسبب إحسانه وعطائه لهم سواء منهم من سأل أو من لم يسأل تعففا ثم هو يحكى فى هذه الأبيات كيفية رعايته لهؤلاء الجيران فهناك جاره هو يعلم حالها ولكنها تعف السؤال ، فإذا هو يبرها ، لذا فهى إذا فارقته حمدته على جميل صنعه معها. والأخرى التى أرسلت له الغلام ليعلمه بحاجتها، فإذا هو يعطيها جيد الطعام سواء جاء الغلام أم تغيب .

ولاشك أن إجابة السائل فضيلة جليلة حثنا عليها الإسلام .. **قال تعالى : { وأما السائل فلا تنهر } وقال تعالى : { وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل }**

ومن المثل الفاضلة التى نجدها فى شعر " لبيد " فضيلة الحماية وهى تشمل حماية الجار والدفاع عنه وحماية أى مستجير يطلب الجوار او مستنجد يطلب النجدة او مستنصر يطلب النصرة فنراه يقول :

فرَّجتُ كُربَتَهُ بِضَرْبةَ فَيْصَـــلٍ أو ذات فَرْغٍ بالدماء رذوم (١)

- العارضة الناقة التى أصابها كسر فخرت ، الهضوم : الفتى الذى يهتضم ما له ، النزل الخير والمعروف

(١) الديوان ص ١١١ ، فيصل : سيف ، فرغ " طعنه واسعه ، رذوم : سائله قاطرة

فهو يفرج عن المكروب المستنجد به فما أن يستنجد به حتى يفزع لنجدته ويفرج عنه كربه ومصيبته بضربة سيف أو طعنة رمح .

ويقول أيضا

وَدَعَوْتِ مَرْهُوبِ أَجَبْتُ، وطَعْنَـةٍ رَفعْتُ بها أَصواتَ نَوحٍ مُسَلَّـب (١)

فهو يؤازر هذا المرهوب وينصره على عدوه بطعنة فيها الردى.

ويقول أيضا :

وعانٍ فَككتُ الكَبْل عنه وسُدْفَـةٍ سَرَيْتُ وأَصحابى هَدَيْتُ بِكوكَـبِ(٢)

فهو يفك أسر الأسير - ويهدى أصحابه فى المسير مـــن خـــلال معرفته.

ويقول أيضا :

ومولى قد دفعت الضيم عنـــــه وقد أمسى بمنزلة المضيـــــــم

فهو يفخر بأنه يقدم العون لكل محتاج - وينصر من يستنصره ...

ومن الفضائل الإسلامية التى عبر عنها " لبيـــد " شـــعرا متـــأثرا بروح الإسلام " علو الهمة " وعدم الكسل قال صلـــى الله عليـــه وســـلم : " أخشى ما خشيت على أمتى كبر البطن ومداومة الكسل " فنراه يقول :

وإذا رُمّتَ رحيلًا فارتحـــــلْ وأعصى ما يَأْمُرُ تَوْصِيمُ الكسَـــل (٣)

---

(١) الديوان ص ١٠ نوح : نساء ينحن ، مسلب : لبس السواد

(٢) الديوان ص ٩ العانى : الاسير ، الكيل : الغل ، السدفة : ظلمة الليل ، سربت ، ســرت ليــلا ، يكوكب / سرت بالنجم

(٣) الديوان ص ١٧٩ ، التوصيم : الفتور والتراخى ، الوصم : العيب والعار

ففى هذا البيت نراه يحثنا علـــى فضيلـــة الســـعى ونبـــذ الكســـل والقعود.. ولاشك أن السعى والحث عليه من فضائل الأعمال التـــى هـــى ضد الكسل والقعود وقد كان دعاء النبى صلى الله عليه وسلم " اللهم إنـــى أعوذ بك من الجبن والكسل " **وصدق الله العظيم إذ يقول { وامشوا فـــى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور }**[1]

وحول هذا المعنى أيضا يقول " لبيد "[2]

ما يمنعُ الليلُ مِنّى ما هَمَمْتُ بـــه ولا أحارُ إذا ما اعتادنى السَّفرُ
إنى أُقَاسِى خطوبا ما يقومُ لهـــا إلا الكرامُ على أمثالها الصُّبُـــر

ففى هذين البيتين يؤكد على علو همته فهو يركب الليل ويعـــرض نفسه للمخاطر إصرارا على نيل مبتغاه ففى قوله " ما يمنع الليل منى مـــا هممت به " إيماء إلى صبره وتجلده فـــى تركـــه للنـــوم وعـــدم الراحـــة والاستقرار .

وفى قوله " ولا أحار إذا ما اعتادنى السفر " إيماء إلى إنه يتحمـــل مشاق السفر والتعب فى رحلاته.

وفى ذلك إيماء لقوة التحمل والصبر والمثـــابرة والتجلـــد علـــى المكاره للوصول إلى الغرض وتحقيق الهدف مهما كلف نفسه من إنـــهاك الجسد بعدم النوم مع ما يعانى من طول السفر.

(١) سورة الملك أية ١٥
(٢) الديوان ص ٦٢/٦٣

➢ رابعاً : النتائج المستفادة من الدراسة :

أولاً : ثبت بالدلائل والشواهد السابقة أن دعوى هجـــر " لبيـد " للشـعر دعوى مردوده فلم تخمد شاعريته بالإسلام، بل فاضت بالمعـــانى والمثل الإسلامية بعد أن اختمرت تلـك المعـانى فـى ذاكرتـه ، وترجمها شعرا على نحو ما سبق توضيحه.

ثانياً: إن فى شعر " لبيد " من الأفكار والمعانى التى لم تكن لتتفق له لـو لم يكن قرأ آيات القرآن الكريم الدالة على هذه المعـانى والأفكـار مثال ذلك الحديث عن الأبرار والقضاء والقدر والآجال والحسـاب والبعث والعمل الصالح ، وعن كونه سبحانه وتعالى فعال لما يريـد وأيضاً كونه عالم الغيب، والحديث عن العوالم الأخرى مثل ما فـى السموات والأرض، والجنة والأشهاد والحسنات ، وحديثـه أيضـاً عن الآداب الإسلامية.

والفضائل مثل الصدق والوفاء وعدم الضرر وحســن المعاملـة وغيرها مما هو واضح فى البحث .

ثالثاً : كثرة اقتباس " لبيد " من معانى ألفاظ القرآن الكريـم والأحـاديث النبوية الشريفة.

رابعاً : سهولة ووضوح ألفاظ شعره الإسلامى على عكس ما وصفت بـه أشعاره التى قالها فى الجاهلية .

خامساً: اشتمال شعر الشعراء المخضرمين على معان ومثل إسلامية من الواجب علينا إظهارها حتى تكون ردا على من يقول إن الإسلام أضعف الشعر ..

فالحقيقة أن شعراء هذه الفترة قالوا شعرا فى الإسلام بعد أن اختمرت بداخلهم معانيه .. والدليل على ذلك الازدهار الذى لحق الشعر فيما بعد فى العصر الأموى.

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم والحديث الشريف.
- العمدة فى محاسن الشعر ونقده لابن رشيق / تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - دار الجيل - بيروت ١٩٨١.
- الأغانى لابى الفرج الأصفهانى / تحقيق عبد السلام محمد هارون - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان - نقله إلى العربية - عبد الحليم النجار.
- تاريخ الأدب العربى فى العصر الإسلامى / شوقى ضيف - دار المعارف.
- تاريخ الشعر السياسى لأحمد الشايب.
- جمهرة أشعار العرب - تأليف أبى زيد بن الخطاب القرشى.
- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين / شرح وتحقيق سعيد محمد اللحام - ط١ مكتبة الهلال سنة ١٩٨٦ .
- سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر / تأليف على صدر الدين المدنى ابن أحمد النظام الحسينى الحسنى ط ١ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٤هـ.
- السيرة لابن هشام. / محيى الدين عبد الحميد .
- الشعر العربى بين الجمود والتطور. / محمد عبد العزيز الكفراوى دار النهضة مصر ١٩٦٩.
- الشعر والشعراء / لابن قتيبة.- تحقيق أحمد محمد شاكر - دار المعارف

- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى / د. إحسان عباس / طبعة الكويت ١٩٦٢.
- صحيح مسلم. / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى طبعة الحلبى القاهرة ١٩٥٥
- طبقات فحول الشعراء / محمد بن سلام الجمحى. / شرح محمود محمد شاكر.
- لبيد بن ربيعة العامرى / د. يحيى الجبورى / الطبعة الثالثة دار القلم / ط ١٩٨٣.
- مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف / د. عبد البديع صقر. المكتب الإسلامى بيروت ط ١ سنة ١٣٩١ هـ
- الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء. أبى عبيد الله محمد المرزبانى / وقف على طبعه محب الدين الخطيب / ط القاهرة ١٣٤٣هـ المطبعة السلفية.
- نشأة النقد فى مصر / د. عز الدين الأمين. ط ٢ / ١٩٧٠
- هداية البارى / عبد الرحيم الطهطاوى - ط ٢ سنة ١٣٤٠هـ